محاضرة مفرغة

حلاوة القرآن

ضمن فعاليات الدورة الخامسة عشرة

من جائزة رأس الخيمة للقرآن الكريم

فضيلة الشيخ الدكتور

سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

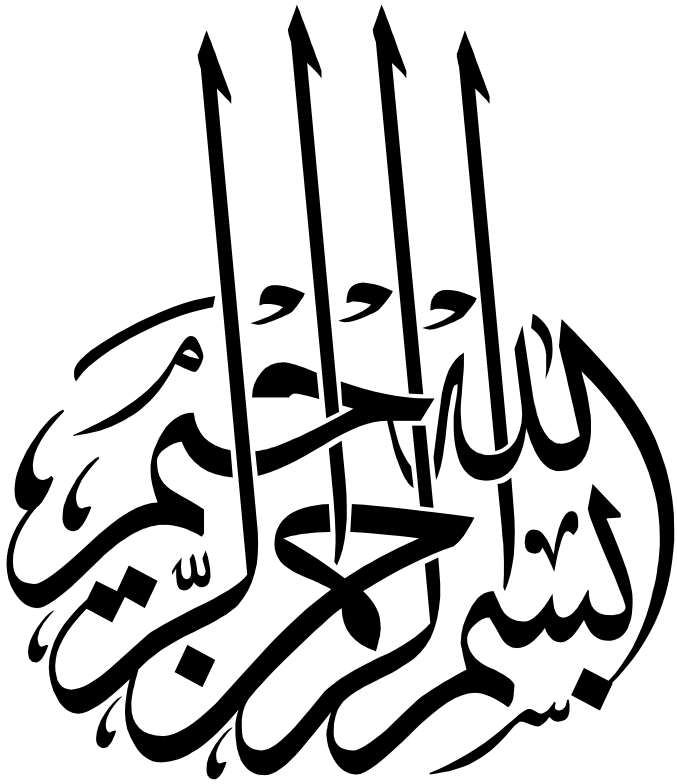
بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الملك القدُّوس السلام، يَسمع كلامنا، ويَرى مكاننا، ويَعلمُ ما في صدورنا؛ فهو السميع العلَّام، تكلَّم بالقرآن فهو خيرُ الكلام، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المعبودُ الحقُّ على الدَّوام، أكرمنا بدين الإسلام، وأكمل لنا الدِّين وأتمَّ علينا الإنعام، وَعَدَ مَن استجاب للقرآن بالجنة دارِ الرَّحمة والسلام، وتوعَّد مَن أعرض عنه بجهنمَ دارِ الانتقام، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله المبعوثُ رحمةً للأنام، تلا كتابَ ربه حقَّ التلاوة وقام به خير قيام، صلى الله عليه وسلم أزكى صلاةٍ وأتمَّ سلام، ورضي الله عن آله الطيبين الأعلام، وصحابته الخيار الكرام، ومَن اقتفى أثرهم واقتدى بسنة النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- معتزًّا بها على مرور الأيام.

أمّا بعد، فمعاشر أهل الإسلام؛ أحييكم بتحية الإسلام: فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها الإخوة والأخوات؛ في ضمن فعاليات هذه الجائزة المباركة؛ جائزة رأس الخيمة للقرآن الكريم وعلومه، التي هي جزءٌ مشرِّفٌ مِن عنايةِ دولة الإمارات العربية المتحدة بكتاب الله -سبحانه وتعالى- وتكريمها لِمَن يعتني به وتشجيعها على العناية به، والتي يقوم عليها رجالٌ عرَفتُهم بالإخلاص لله -عز وجل- والنُّصح والمحبة لولاة أمرهم والغَيْرة على بلادهم -أحسبهم كذلك والله حسيبي وحسيبهم ولا أزكي على الله أحدا- ضمن فعاليات هذه الجائزة المباركة نشارك بهذه المحاضرة عن أمرٍ عظيمٍ مِن سعادة الدنيا؛ بل مِن أسعدِ ما فيها، فَقَدَه كثيرٌ مِن الناس، ألا وهو: **حلاوة القرآن**.

ولا شك أيها الإخوة والأخوات أنّ الله -عز وجل- خلق الدنيا للإنسان، وخلق له فيها ما يُصلِحه، ومما خلقه للإنسان في الدنيا أنْ جعل فيها أمورًا لها حلاوة، يتذوقها بلسانه، وجعل له في الدنيا أمورًا لها حلاوةٌ معنويَّة يتذوقها بقلبه، والحلاوة المعنوية أعظمُ وألذُّ مِن الحلاوة الحسية، فالحلاوة التي توجد في القلوب أحلى من العسل وأحلى من السكر، ولذا جاء عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «ثلاثٌ مَن كُنّ فيه وَجَدَ بهنَّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذَف في النار»[1] ، هذه حلاوةٌ يجدها المؤمن في قلبه إذا حقَّق هذه الأمور الثلاثة.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : «لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا لله، وحتى أن يُقذَف في النار أحبُّ إليه مِن أن يَرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما»[2]، وأشيرُ هنا إشارة إلى أنَّ العلماء ذكروا أنه يَدخل في صفة أن يَكره الإنسان أن يعود إلى الكفر كما يَكره أن يُقذَف في النار: أن يَكره الإنسانُ أن يعود إلى المعصيةِ بعد أن أنقذه الله منها كما يَكره أن يُقذَف في النار. بعض المسلمين قد يكون على معصية قد يُبتلى بمعصية ثم يكرمه الله فينقذه مِن هذه المعصية فيتوب عليه، فإذا أصبح يكره أن يعود إلى هذه المعصية بعد أن أنقذه الله منها كما يَكره أن يُقذَف في النار: يجد حلاوةً في قلبه، هي مِن ألذِّ ما يَجده الإنسانُ في الدنيا.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان (16)، باب: حلاوة الإيمان، وفي كتاب الإيمان (21) أيضاً باب: من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من الإيمانه، وفي كتاب: الإكراه (6542) باب: من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر. ومسلم (43) في كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان. من حديث أنس رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري (5694) كتاب: الأدب، باب: الحب في الله. من حديث أنس رضي الله عنه.

وعن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا يَجد عبدٌ حلاوة الإيمان حتى يَعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه»[1]، فالعبد الذي يبلغ به الحال أن يَعلم علم اليقين علمًا مستقرًّا يَعقِد عليه قلبه أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فلا يقول: لو أن كذا لكان كذا ؛ يجد حلاوةً عظيمة في قلبه.

وهناك حلاوةٌ معنوية خاصة بالنساء، بيَّنها النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- فقال: «لو أمرتُ أحدًا أن يَسجد لأحد لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حقِّه عليها، ولا تجد امرأةٌ حلاوة الإيمان حتى تؤدِّي حقَّ زوجها»[2]، فالمرأة إذا أدَّت حقَّ زوجها طاعةً لله قيامًا بأمر الله تجدُ حلاوةً في قلبها هي حلاوة الإيمان.

وهذا الأمر يحاول شياطين الإنس الجن اليوم أن يصرفوا المرأةَ عنه، وأن يوسوسوا لها بأنها مساويةٌ للرجل وأن أداءها حقَّ زوجها ضَعف وذِلَّة، وهذا خطأ عظيم، بل كرامة المرأة أن تؤدِّي حق زوجها طاعةً لله، فتجد في قلبها حلاوةً ولذةً عظيمة.

المرأة لها حقُّها ولها مكانتُها، والإسلام كرَّمها، والمسلم الكريم يكرِّمها، لكنّ قيامها بحق زوجها مِن كرامتها، ليس ذلًّا ولا نقصًا ولا طغيانًا ولا ظلمًا.

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (199) بلفظ: «إنَّ لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»، والهيثمي في كتاب: القدر، باب: الإيمان بالقدر (11833)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وأخرجه ابن أبي عاصم كتاب: السنة (247)، وحسن إسناده الشيخ الألباني في السلسة الصحيحة (5 / 566)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(2) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (7649)، كتاب النكاح، باب: حق الزوج على المرأة، وقال: رواه بتمامه البزار، وأحمد باختصار، ورجاله رجال الصحيح وكذلك طريق من طرق أحمد، وروى الطبراني بعضه أيضا. من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وإنَّ الله -عز وجل- أنزل على رسوله محمدًا -صلى الله عليه وسلم-القرآن هدىً للناس وبيِّناتٍ مِن الهدى والفرقان، قَصَّ فيه أحسن القَصص، وضَرب فيه أعظم الأمثال، وأمر وزجر، ووعد وأوعد، وجعل فيه مِن روائع البيان ما يُذيب الجبال لو أُنزِل عليها؛ كما قال ربنا: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١]، فهذا القرآن كلام ربِّنا، فيه حلاوةٌ هي أعظم حلاوةٍ يَعرفُها الإنسانُ إن وفَّقه الله -عز وجل- إليها.

وقد وَصَفَ الشيخ صدِّيق حَسن خان القرآنَ وصفًا بليغًا فقال -رحمه الله-: "الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودِين الحقّ، وبيَّن له مِن معالِم العِلم وشعائر الشرائعِ ومشاعِر المِلَلِ كلَّ ما جَلَّ ودَقّ، ونزَّل عليه كتابًا معجِزًا أَفحم مصاقع الخطباء مِن العرب العُرباء، وخطابًا مُفحِمًا أَعجَز بواقِع البُلغاء مِن عصابة الأُدباء بأَظهَر بيِّنات وأبهر حجج، قرآننا عربيًّا غير ذي عوج، أَمَرَ فيه وزَجَر، وبشَّر وأنذر، وذَكَر المواعظ ليُتذكَّر، وقَصَّ عن أيام الأمم الخالية ليُعتبَر، وضرب فيه ليُتدبَّر، ودلَّ على آيات التوحيد ليُتفكَّر، أنزله بحسب المصالح والحِكَم مُنجَّمًا، وجعله بالتحميد مفتتحًا، وبالاستعاذة مختَتمًا، وأوحاه متشابهًا ومُحْكمًا، مزاياه ظاهرةٌ باهرةٌ في كلِّ وجهٍ وكلِّ زمان، دائرةٌ مِن بين سائر الكتب على كلِّ لسان في كلِّ مكان، كادتِ الرواسي لهَيبتِه تَمور، ويَذوبُ مِن خَشيته الحديد، ويَميع منه صمُّ الصخور، فمَن تمسك بعروته الوثقى وحبله المتين وسلك جادته الواضحة وصراطه المبين؛ فقد فاز بمناه، ومَن نَبَذَه وراء ظهره وعصاه واتخذ إلهه هواه؛ فقد هوى في تُخوم الشقاء وتَردَّى في مَهاوي الرَّدى والاشتباه".

القرآن كلام ربنا -سبحانه وتعالى- له حلاوة وعليه طلاوة، ولذلك جاء عند الحاكم بإسناد اختلف فيه أهل العلم لكنّ الشيخ ناصر الألباني صحَّحه في صحيح السيرة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: "جاء الوليد بن المغيرة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقرأ عليه القرآن فكأنه رَقَّ له، فبَلغ ذلك أبا جهل فأته فقال: يا عم! إنّ قومك يرَون أن يَجمعوا لك مالًا، قال: لِمَ؟ قال: ليُعطوكَه فإنك أتيتَ محمدًا لتُعرِض عما قِبَلَه" يعني لمّا سمِعوا أنه رقّ لسماع القرآن أرادوا أن يُغروه بالمال حتى يُعرِض عما جاء به محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-، فماذا قال؟ قال: قد عَلِمتْ قريشٌ أني مِن أكثرها مالًا، قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكِر له أو أنك كارِه له، قال فماذا أقول؟ فو الله! ما فيكم رجلٌ أَعلَم بالأشعار مني، ولا أَعلَم برَجَزٍ ولا بقصيدةٍ مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يُشبِه الذي يقوله شيئًا مِن هذا، والله! إنّ لقوله الذي يقولُ حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنه لمثمِر أعلاه، مُغدِقٌ أسفلُه، وإنه لَيعلو وما يُعلى، وإنه لَيحطِم ما تحته، فقال أبو جهل له: لا يَرضى عنك قومُك حتى تقول فيه -لابد أن تقول فيه شيئًا يُكرَه- فقال: دعني حتى أفكِّر، فلمّا فكَّر قال: هذا سِحر يؤثَر - يأثره عن غيره، يأخذه عن غيره- فنزلتِ الآيات: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [المدثر: ١١] إلخ الآيات.

فالقرآن له حلاوة يجدها مَن يقرؤه إذا بذل الأسباب لهذه الحلاوة.

كثيرٌ مِن الناس اليوم يقول: إني أقرأ القرآن ولا أجد في قلبي أثرًا، إني أقرأ القرآن ولا أجد حلاوة، ولا أشعر في قلبي حلاوة، فنقول: والله! إنّ للقرآن حلاوة، والله! إنّ القرآن مؤثرٌ في القلوب لكن لمَن سلك الطريق.

إنك لن تجد للقرآن حلاوة حتى تسلك الطريق المستقيم الذي يجعلك مِن أهل هذه السعادة العُظمى في الدنيا.

وأوّل معالِم هذا الطريق: أن تعتقد أنّ القرآنَ كلامُ الله، أنّ اللهَ تكلَّم به، فتشعُر وأنتَ تقرأ أنه كلام الله، إذا حفظتَ شيئًا مِن القرآن شعرتَ أنه كلام الله؛ فيُثمر هذا في قلبك شَرفًا ومحبةً وخوفًا، تَشْرُفُ بأنك تقرأ كلام الله، تَحمل في صدرك كلام الله، وتخاف ألا تقومَ بحقِّ كلام الله، فيدفعك ذلك إلى أن تجتهد في طاعة الله وتعظيم شعائر الله والبعد عن محارم الله فتجد ذلك حلاوة في صدرك.

ومِن معالم هذا الطريق: أن تعلم علم اليقين أنّ القرآن شفاء، ليس القرآن دواء بل القرآن شفاء، الدواء قد يُشفى بسببه الإنسان وقد لا يُشفى، أمّا القرآن فشفاءٌ للأمراض الحسيّة والمعنويّة، تَعلمُ علم اليقن أنّ القرآن يُشفى به قلبك، فتقرأ القرآن وأنتَ تَعلم هذا وتعتقد هذا؛ لأنّ الله -عز وجل- قال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

مِن معالم الطريق الذي إذا سلكتَه تجدُ الحلاوة عند قراءة القرآن: أن تُقبِل على قراءته، وآية ذلك أن تبدأ مستعيذًا بالله مِن الشيطان الرجيم، لماذا؟ لأنّ الشيطان الرجيم إذا رآك مقبِلًا على كلام الله تريد أن تقرأ كلام الله يأتيك بالصوارف، أوّل أمر يحاول أن يُخرِج قلبك، أن تقرأ القرآن وما تدري ما تقرأ، يُخرجك إلى خارج المسجد إن كنتَ في المسجد أو إلى خارج البيت إن كنتَ في البيت، فإن لم يستطع جاءك بالوساوس فيما تقرأ، ويوسوس لك في الآيات ليصرفك عن حلاوة الآيات، فأنتَ بحاجة عند القراءة إلى الاستعاذة، ولذا أدَّبنا ربنا -عز وجل- بهذا الأدب فقال:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] ما فائدة الاستعاذة؟ ولماذا نستعيذ بالله مِن الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن؟ بيَّن لنا ربنا -سبحانه وتعالى-هذا بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [النحل: ٩٨] ، فإذا استعذتَ بالله -عز وجل- وأنتَ مؤمنٌ بالله -عز وجل- متوكِّلٌ على الله؛ فإنّ الله لا يسلِّط عليك الشيطان، تقرأ القرآن فتتدبَر وتجد الحلاوة لكلام الله -سبحانه وتعالى-.

مِن معالم الطريق حتى تجد حلاوة القرآن: أن تتدبر القرآن عند تلاوته ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء: ٨٢] ؛ حث الله -عز وجل- على تدبر القرآن.

ومِن التدبر؛ أن تقرأ وأنتَ تَعلَم أنك المخاطَب بالقرآن، فتكون وقّافًا عند الآيات، فإذا وجدتَ أمرًا نظرتَ في حالك مع هذا الأمر؛ هل أنت مِن أهله الممتَثِلين؟ فإن وجدتَ هذا حَمِدتَ الله وسالتَ الله الثبات، وإن وجدتَ أنك مقصِّر بادرتَ إلى الامتثال. إذا مررتَ بنهيٍ نظرتَ في حالك؛ هل أنت تارك لِما أمرك الله -عز وجل- بتركه ونهاك عن فعله؟ فإن وجدتَ ذلك حمدتَ الله وسألتَ الله الثبات، وإن وجدت أنك مقيمٌ على أمر قد نهاك الله عنه في كتابه بادرتَ إلى الامتثال وتركتَ فعلَ ما نهاك الله -عز وجل- عن فعله.

ومِن التدبر؛ أن تتذكَّر بما في القرآن وأن تَعتبر بآيات القرآن ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الإسراء: ٤١] ، الله صرَّف آيات القرآن لنتذكَّر، لنتذكَّر ونعتبر بما في القرآن، والمؤمن الموفَّق من اعتبر في آيات الله في كتابه، وبآيات الله في كونه، وبآيات الله في مخلوقاته، وبآيات الله في وقائعه، فيكون مِن المعتبِرين، ومَن اعتبر أثمر ذلك في قلبه حلاوةً.

مِن معالِم الطريق لتجد حلاوة القرآن أيها المبارك: ألا تَعجَل في قراءة القرآن، بل تأنَّ، واقرأ -كما قلنا- بتدبر، فإنَّ العَجلة لا تأتي بخير، النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- قال: «الأناة مِن الرحمن والعجلة مِن الشيطان»[1]، فلا تعجل وأنتَ تقرأ القرآن، ولذلك قال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- لعبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: «اقرأ القرآن في شهر» -اختم القرآن في شهر- قال: " إني اطيق أكثر من هذا، إلى أن قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اقرأه في سبع؛ ولا تزد على ذلك»[2]، وفي رواية أنه رادَّه حتى قال: "اقرأه في ثلاث، وما فَقُهَ مَن قرأه في أقلَّ مِن ثلاث»، وهذا يدل على أنّ الحكمة: أن تَفقَه قراءة القرآن. فالنبي -صلى الله عليه وسلم- أرشد عبد الله بن عمرو في أوّل نصحه أن يختم القرآن في الشهر مرة، ثم قال: «لا تزد على سبع» لمّا قال إني اطيق أكثر مِن هذا.

لهذا قال عبد الله بن مسعود: "اقرؤوا القرآن وحرِّكوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخر السورة"، اقرأ القرآن وحرَّك قلبك وأنتَ تقرأ القرآن، ولا يكن همُّك آخر السورة، بعض الناس تجده يقرأ يقلب الصفحة ينظر متى تنتهي السورة! همّه آخر السورة، لا يجد حلاوة القراءة ، وإنما يجد الإنسان حلاوة القرآن إذا كان يتدبر ولا يَعجَل ويقرأ بالأناة، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا قرأ قطَّع الآيات ويقف عند رؤوس الآي.

---

(1) أخرجه الترمذي (2012) في كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في التأني، بلفظ: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان»، وقال: هذا حديث غريب. وأخرجه بلفظ: «التَّأنِّي» المنذري في الترغيب والترهيب (2/ 359) والهيثمي في مجمع الزوائد (8/ 22)، وقالا: رجاله رجال الصحيح، وجوَّد إسناده ابن القيم في إعلام الموقعين (2/ 120)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (2677) (1572).

(2) متفق عليه.

مِن معالِم الطريق لتجد حلاوة القرآن: أن تُحسِّن صوتك بالقرآن، رتِّل بحسب استطاعتك، حسِّن صوتك، زيِّن صوتك وأنتَ تقرأ القرآن، حتى لو كنتَ تقرأ لوحدك في جوف بيتك حسِّن صوتك؛ فإنّ لهذا التحسين أثرًا في قلبك، ولذلك قال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «ما أَذِنَ الله لشيءٍ ما أَذِنَ لنبيٍّ يَتغنَّى بالقرآن»[1] ويَتغنَّى: يعني يُحسِّن صوته ويَرفع صوته به، وفي رواية: «لنبيٍّ حَسَن الصوت يتغنّى بالقرآن» فالمؤمن يُزيّن صوته بالقرآن، ويُزيّن القرآن بصوته، وهذا له أثره العظيم في القلب.

مِن معالم الطريق المستقيم لتجد حلاوة قراءة القرآن: أن تستمع للقرآن إذا قُرئ وأن تُنصِت وأن تُحضِر قلبك عند التلاوة وعند الاستماع ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ، يقول الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧] يقول الشيخ ابن سعدي -رحمه الله- عند هذه الآية: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ : أيْ قلبٌ عظيمٌ حيٌّ ذكيٌّ زكيٌّ، فهذا إذا ورد عليه شيءٌ مِن آيات الله تذكَّر بها وانتفع فارتفع، وكذلك مَن سمعه إلى آيات الله وقلبه شهيد؛ أي حاضر.

كثيرٌ منا يا إخوة يقرؤون القرآن وقلوبهم غائبة فلا يجدون للقرآن أثرًا ولا يجدون حلاوة القرآن في قلوبهم، شرطُ أن تجد الحلاوة في قلبك أن تُحضِر قلبك الحيّ وأن تقرأ وأنتَ شهيد، فإذا نَدَّتْ نفسُك وخرجتْ أعدتُها لأنك تقرأ كلام الله -سبحانه وتعالى-.

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد (7105) باب: قول النبيِّ ﷺ: «الماهر بالقرآن مع الكرام البررة»، في كتاب: فضائل القرآن، باب: من لم يتغن بالقرآن (5023). ومسلم (792) في صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مِن معالم الطريق لتجد حلاوة القرآن: أن تعلم العلم الجازم أنه لا اختلاف في كتاب الله ولا تعارض بين آياته، وأن تَعمل بمُحكَمه وتؤمِن بمتشابهه، وتَرُدُّ المتشابه إلى المُحكَم كما قال الله -عز وجل-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧] ومعنى أمُّ الكتاب: أصل الكتاب، فالآيات المتشابهات تُرَدُّ إلى الآيات المُحكَمات، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧] مِن معالم الطريق لتجد حلاوة القرآن: أن تحرص على الخشوع عند تلاوته، أن تتخشَّع عند تلاوة القرآن؛ بأن تَبْذُل الأسباب الجالبة للخشوع، وأن تحذر من قسوة القلوب وتتجنب الأسباب المسببة لهذه القسوة، الله -عز وجل- يقول: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦] ، القلب قد يَغفَل لكنّ المؤمن رجَّاع، فالمؤمن إذا تلا كلام الله خَشَعَ وتَخشَّع وتباكى حتى يصبح البكاء له سَجيَّة، لا سيما إذا كان منفردًا، لا سيما إذا قرا كلام الله في جوف الليل فإنه إذا لم يبكي تباكى، جعل البكاء بسبب قراءته لكلام الله -سبحانه وتعالى-، فإنّ البكاء عند قراءة القرآن دأب النبي -صلى الله عليه وسلم- ودأب الصالحين.

فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال لي النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- : "اقرأ عليّ" قال العلماء: في هذا أدب مِن آداب القرآن؛ وهو أن تأمر مَن يقرأ عليك وإن كنتَ حافظًا وإن كنتَ أفضل منه، فهذا مِن آداب تلاوة القرآن، فها هو النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لابن مسعود -رضي الله عنه-: «اقرا علي»، قلتُ: يا رسول الله! أقرأ عليك وعليك أُنزِل؟! قال: «نعم»، فقرأتُ سورة النساء حتى أتيتُ إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ

عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] قال: «حسبك الآن»، قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "فالتفتُ إليه فإذا عيناه تذرفان"[1]، صلى الله عليه وسلم.

ومِن صفات حبيبنا أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- أنه كان رجلًا بكَّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، حتى وهو في مكة في أوّل الإسلام، كان إذا قرأ القرآن يبكي فيجتمع النساء والصبيان حول البيت يسمعون تلاوته وبكاءه -رضي الله عنه وأرضاه-، فالخشوع عند قراءة القرآن مِن سِيَمِ الصالحين.

مِن معالِم الطريق يا أمة الله ويا عبد الله حتى تجد حلاوة القرآن: أن تدارِس القرآن غيرَك، فتجلس مع مَن هو خيرٌ منك ممن يقرؤون القرآن وتقول: تعال نتدارس القرآن، فتقرآن القرآن وتتدارسان معانيه، وكان جبريل عليه السلام يدارس النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- القرآن. وكان الصحابة -رضوان الله عليهم- يتدارسون القرآن تلاوةً وحفظًا ومعانيَ وتفسيرًا وعملًا، وهذا مما يعين العبد على أن يعتني بكتاب الله -عز وجل- .

مِن معالم الطريق حتى تجد حلاوة القرآن: أن تُكثِر مِن قراءة القرآن، وأن تَحذر مِن هجره ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٣٠]، أن تُكثِر مِن قراءته لأنّ كثرة قراءة القرآن تورِث في قلبك رِقّة، وتورِث في قلبك ورحمة، وتورِث في قلبك سعادة، وتورِث في قلبك طُمأنينة، فما اطمأنتِ القلوب بمثل قراءة القرآن، ولذا قال النبيُّ -صلى الله عليه وسلم-: «اقرؤوا القرآن -أي أكثروا مِن قراءته- فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا

(1) متفق عليه؛ أخرجه البخاري (4763) في كتاب: فضائل القرآن، باب: قول المقرئ للقارئ: حسبك، وفي مواضع أخرى. ومسلم (1903) في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع .

الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تُحاجان عن أصاحبهما، اقرؤوا سورة البقرة -قال العلماء: والمقصود الإكثار مِن قراءتها- اقرؤوا سورة البقرة فإنّ أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة»[1]، يعني لا يستطيعها السَّحَرة، إذا قُرأتْ سورة البقرة في البيت طَردتْ منه الجن والشياطين، وهي حِرْزٌ يَتعوّذ به الإنسان فلا يَضرُّه السحرة بإذن الله -سبحانه وتعالى-.

فحَريٌّ بالمؤمن أن يُكثِر مِن قراءة القرآن، وأن يجعل للقران أنفس وقته فإنه أنفسُ الكلام، كثيرٌ منا -أيها الإخوة- اليوم يجعل للقرآن الوقت الضائع أو الوقت الزائد، كان السلف يجعلون للقرآن أنفس الاوقات، لأنّ القرآن كلام الله، وإذا جعلت للقرآن أنفس وقتك فإنك تجد لهذا القرآن أثرًا في قلبك.

مِن معالِم الطريق لتجد حلاوة القرآن في قلبك: أن تجالس الصالحين الذين يحبون القرآن ويُعظِّمون القرآن ويُكثرون مِن تلاوة القرآن، وأن تستمع للقرآن منهم، وأن تحذر ايما حذر مِن مجالسة الذي يستهزؤون بالقرآن ويضحكون مِن أهل القرآن ويُزهِّدون في أهل القرآن ويقولون: ما جعلنا نَتخلَّف عن الأمم إلا هؤلاء القُرَّاء الذين يُكثرون مِن قراءة القرآن! وخاب أولئك المتكلِّمون وخسروا؛ فو الله ما عَزَّتِ الأُمَّة إلا بتعظيم القرآن، ولن ينتفع أحدٌ إلا بتعظيم القرآن. وقد حذرنا الله -عز وجل- مِن الاستماع لهؤلاء والجلوس معهم؛ فقال -سبحانه-: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ

(1) أخرجه مسلم (805) في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

﴿غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء: ١٤٠]، حذَّرنا الله -عز وجل- مِن مجالستهم.

ومِن المجالَسة -يا إخوة- مجالسة عصرية اليوم؛ وهي مجالسة الإنترنت، مجالسة المواقع، مجالسة ما يوجد في الإعلام الحي، اليوم بعض الناس يدخلون على مواقع فيها سخرية مِن القرآن وسخرية مِن أهل القرآن، لا ليزجروهم ولا ليَعظوهم ولكن ليَضحكوا على ما يقولون ويَستهزؤوا معهم والعياذ بالله.

فواجب على المؤمن أن يَحذر هذا الأمر حذرًا شديدًا، وأن يجالس الصالحين، سمعنا -يا إخوة- النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- يقول لابن مسعود -رضي الله عنه-: «اقرأ عليّ»، فمِن الخير للمؤمن أن يجالِس الصالِحين وأن يسمع القرآن منهم.

مِن معالِم الطريق لتحصِّل حلاوة القرآن: أن تُكثِر مِن الأعمال الصالحة، وعلى رأسها الصلاة والزكاة، فما فُتِحتِ القلوب بأعظم مِن كلام الله -سبحانه وتعالى- مع الاجتهاد بطاعته لا سيما العناية بالصلاة والزكاة، ولذا نبَّهنا الله -عز وجل- على هذا بقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة: ٢ - ٥]، فالله -عز وجل- بيَّن لنا أنّ القرآن الكتاب المبين هو هدىً وبشرى للمؤمنين؛ مَن هؤلاء؟ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون، فكثرة الأعمال الصالحة بإخلاصٍ ومتابعة تجعل القلب يُقبِل على طاعة الله -سبحانه وتعالى-، وإذا أقبل على طاعة الله -سبحانه وتعالى- زاد الإيمان في القلب، وإذا زاد الإيمان في القلب كان مِن أحبِّ الأشياء إليه أن يقرأ كلام الله تعالى.

إذن يا إخوة؛ إنّ القضية في كون كثيرين منا اليوم لا يشعرون بحلاوة القرآن ليست راجعةً إلى أنّ القرآن لا حلاوة له، وليست راجعة إلى أنّا في زمن متأخر؛ ولكنها راجعة إلى أنّا لم نعرف الطريق، لم نعرف كيف نقرأ كلام الله -سبحانه وتعالى-.

فإذا أردنا أن نجد حلاوة القرآن في قلوبنا وأن نطمئن بالقرآن وأن نجد الأمن بالقرآن وأن نجد السعادة بالقرآن وأن تطيب حياتنا بالقرآن: فعلينا أن نقرأ القرآن كما كان يقرؤه النبي -صلى الله عليه وسلم- وكما كان يقرؤه صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم-، علينا أن نسير في هذا الطريق الذي حدَّدنا أهمّ معالمه أخذًا مِن كتاب الله وسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ولعلي أوصي نفسي وإخواني في ختام كلمتي هذه بأن نحرص على أن نُعلِّم أبناءنا مِن الصِّغر كيف يقرؤون القرآن القراءة المؤثرة ، القراءة التي تؤثِّر في قلبوهم، فإنّا إن ربينا أبناءنا على هذا كانوا مِن أهل القرآن حقًّا وصدقًا، فتَعمُر قلوبهم بذكر الله وحياتهم بطاعة الله -سبحانه وتعالى-.

أسأل الله -عز وجل- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يكرمنا بقراءة القرآن وأن يجعلنا نجد حلاوة القرآن، اللهم يا ربنا اجعلنا مِن المكثرين لقراءة القرآن يا رب العالمين، الله اجعلنا ممن يحبون قراءة كلامك يا رب العالمين، اللهم أنِر بصائرنا، اللهم ألِن قلوبنا، اللهم ألِن قلوبنا، اللهم ألِن قلوبنا، اللهم إنا نعوذ بك مِن القلوب القاسية، اللهم إنا نعوذ بك مِن القلوب القاسية، اللهم إنا نعوذ بك مِن القلوب القاسية، اللهم يا ربنا يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تجمعنا ووالدينا وأهلنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهم ثبتنا على الهدى والسنة يا رب العالمين، اللهم ثبتنا على الهدى والسنة يا رب

العالمين، اللهم ثبتنا على الهدى والسنة يا رب العالمين، اللهم اجعلنا مفاتيح للخير ومغاليق للشر.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.